

جامعة خنشلة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

نظرية العلاقات الدولية

دروس على الخط مقدمة لطلبة السنة الثانية لسانس علاقات دولية

أستاذ محاضر - أ-

إعداد الدكتور: بالة عمار

السنة الجامعية: 2021-2022

المحاضرة الأولى: الإطار المفاهيمي للنظرية في العلاقات الدولية

تتعدد وتنوع تعاريف مفهوم النظرية بشكل عام، كما يتداخل مفهوم النظرية مع مفاهيم أخرى لها علاقة بها كمفهوم المنهج، الاتجاه، المدرسة...إلخ.

يعرف "فليب برايار" Philip Braillard "مفهوم النظرية بأنها: إطار مفهومي يمكن من تنظيم البحث وصياغة الفرضيات التي من شأنها إيضاح الظواهر المدروسة"، ويعرفها "ديفيد سنجر" بأنها: كمية كبيرة من المعرفة الوصفية والمترابطة والتفسيرية مجتمعة في كل منطقي ومتماسك"¹.

أما "جيمس دورتي" و"روبرت بالتستغراف" فيوردان في كتابهما: "النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية" تعريفا للنظرية بأنها: "تنظيم للمعلومات بشكل يمكن معه تقديم أجوبة علمية وسليمة للاشكاليات التي تثيرها الظاهرة موضوع الدراسة"².

وتعرف النظرية أيضا حسب ما أورده الدكتور محمد شلي "بأنها: مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا التي تكون رؤية منظمة للظواهر والتنبؤ بها". وبناء على هذا التعريف، فإن النظرية تقوم بتحديد المتغيرات المعتمدة في تحليل وتفسير الظاهرة، وتحدد العلاقة بينها في الاقتراب من الظاهرة المدروسة. وإن النظرية تزداد أهميتها العلمية كلما اتسمت ب: الشمولية والقدرة على استيعاب ظواهر متعددة لفهمها وتفسيرها. ويجب الإشارة إلى أن النظرية تتأثر وتحمل خلفيات فكرية وسياقات اجتماعية وثقافية وتاريخية لمن صاغوها لأنها تهدف إما لتفسير الواقع الذي تولد فيه، أو تهدف لانتقاده وتغييره"³.

¹ جندي عبد الناصر، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكويني. الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط. 2007، 1، ص. 16.

² المرجع نفسه.

³ محمد شلي، المنهجية في التحليل السياسي، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص. 18.

1. تعريف نظرية العلاقات الدولية:

يعرف "فيليب برايار" نظرية العلاقات الدولية في كتابه "نظريات العلاقات الدولية" Theories des "relations internationales" بأنها: "مجموعة متماسكة ومنظمة من المقولات الرامية إلى إيضاح دائرة العلاقات الاجتماعية التي تسمى دولية"، كما تعرف أيضا بأنها: "تعبير متماسك وممنهج لمجموعة من المفاهيم والفرضيات حول السلوكية السياسية للوحدات السياسية في علاقاتها مع بعضها البعض المبنية على متغيرات العلاقات الدولية كالقوة، الأخلاق، التعاون، التكامل، والاقتصاد..."⁴

2. أنواع النظريات في حقل العلاقات الدولية:

تصنف أدبيات العلاقات الدولية النظرية إلى مجموعة من التصنيفات، أبرزها:

أ. التصنيف الذي يصنفها إلى نظريات عامة ونظريات جزئية:

***النظريات العامة**: هي تلك النظريات التي تعتمد إلى تفسير ظاهرة العلاقات الدولية تفسيراً كلياً، ومن أبرز هذه النظريات: النظرية المثالية، النظرية الواقعية، نظريات التكامل والاندماج، النظرية الماركسية...إلخ.

***النظريات الجزئية**: هي تلك النظريات التي تركز في فهمها وتفسيرها لظاهرة العلاقات الدولية على جزء أو جانب محدد معتمدة على الدراسات الميدانية، وعلى مقاربة منهجية متكاملة، ومن أهم هذه النظريات: نظرية صنع القرار، نظرية الردع، نظرية المباريات...إلخ.⁵

⁴ جندي عبد الناصر، مرجع سابق، ص.36

⁵ المرجع نفسه، ص.37

3. تحديات عملية التنظير في حقل العلاقات الدولية:

تواجه عملية التنظير في حقل العلاقات الدولية مجموعة من الصعوبات والتحديات، أهمها:

1. طبيعة الظاهرة الدولية التي تعد ظاهرة اجتماعية وانسانية تتسم بالتعقيد والتشابك والتغير

الزمكاني

1. عدم قدرة الباحثين في حقل العلاقات الدولية على ايجاد نظرية عامة وشاملة تدرس الظاهرة

الدولية من مختلف أبعادها الزمنية (ماضي، حاضر، مستقبل)

3. تنوع مجالات وتخصصات العلاقات الدولية مما يصعب عملية الإلمام بالأبعاد الزمانية الرئيسية

أثناء تحليل الظاهرة الدولية.

ونظرا لوجود هذه التحديات والصعوبات، يمكن تلخيص أهم الأزمات التي تعرفها عملية التنظير

في حقل العلاقات الدولية إلى⁶: أزمة التعميم بسبب عجز الباحثين عن ايجاد نظريات علمية شاملة في

حقل العلاقات الدولية يمكن من خلالها تفسير مختلف الظواهر الوجودية في بيئات مختلفة زمنيا

ومكانية، أزمة الشمولية في متغيرات العلاقات الدولية بسبب صعوبة تحديد وحصر المتغيرات أو المتغير

الرئيسي المتحكم في العلاقات الدولية، أزمة التعددية بسبب التعدد والتنوع الكبير في نظريات العلاقات

الدولية.

4. الحوارات الكبرى في عملية التنظير في حقل العلاقات الدولية:

إن تاريخ العلاقات الدولية كفرع أكاديمي أو تخصص علمي يرجع جذوره إلى فترة ما بين الحربين

العالميتين الأولى والثانية، ولكن المحاولات الأولى للتنظير في هذا الحقل تعود إلى ما بعد إنعقاد معاهدة

⁶ المرجع نفسه.

وستفاليا عام 1648، حيث ظهرت البدايات الأولى لعملية التنظير للعلاقات الدولية على يد رائدي المدرسة القانونية "جروشيوس" والمدرسة الواقعية التقليدية "ميكيافي". ولقد عرف مسار جهود التنظير في هذا الحقل مجموعة من الحوارات أو "المحاورات"، هناك من يقسمها إلى ثلاث محاورات، وهناك من يجعلها أربعة حوارات علمية، ولقد كان الهدف من جميع هذه الحوارات أو المحاورات هو البحث في ماهية العلاقات الدولية أنطولوجيا وإبستمولوجيا ومنهجيا أي تحديد الطريقة أو الأسلوب الذي يتم من خلاله التنظير في حقل العلاقات الدولية "كيف نصل إلى صياغة ووضع نظريات علمية نفسر من خلالها العلاقات الدولية"، وهذا ما يصطلح عليه بـ"فلسفة العلوم".

أ. الحوار الأول:

تمحور جوهر المحاور الأولى بين الاتجاه المثالي والاتجاه الواقعي في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية حول مجموعة من المحاور التي شكلت نقاط خلاف واختلاف بينهما، يمكن حصرها في المستويات التالية⁷:

1. على مستوى طبيعة وحدة التحليل: اختلف المثاليون عن الواقعيين الكلاسيكيين في طبيعة وحدة التحليل المعتمدة في دراسة وتحليل العلاقات الدولية، حيث اتخذ المثاليون من المنظمات الدولية والقانون الدولي كوحدة أساسية لتحليل الواقع الدولي، في حين اعتبر الواقعيون الدولة وحدة رئيسية وأساسية للتحليل.

2. على مستوى المنهج: اعتمد المثاليون في دراستهم وتحليلهم للعلاقات الدولية على المنهج الفلسفي – المثالي الذي يركز على ما يجب أن يكون، في حين انطلق الواقعيون في دراستهم للواقع الدولي من الواقع

أيمن ما هو كائن فعلا، مستعينين بمقاربة منهجية تجريبية" وضعية" أساسها الممارسة السياسية والخبرة التاريخية.

3. على مستوى المفاهيم الأساسية التي تبني عليها تصوراتهم للعلاقات الدولية: يبني الواقعيون تصورهم للعلاقات الدولية من كونها عبارة عن صراع من أجل القوة الذي يعد سمة طبيعية ودائمة في العلاقات الدولية، في حين يرى المثاليون بأن المجتمع البشري مبني على حرية الاختيار والإرادة الحرة، وعلى خلاف الواقعيين، يرى المثاليون بأن الصراع من أجل القوة هو ظاهرة غير طبيعية في المجتمع البشري، وهذا ما دفعهم إلى الدعوة لأخلاق العلاقات الدولية عبر نشر السلم والأمن الدوليين، وفض النزاعات الدولية عن طريق الطرق السلمية وتطبيق القانون الدولي .

4. على مستوى الهدف: يسعى الاتجاه المثالي إلى إنشاء حكومة عالمية في إطار الأمن الجماعي وانسجام مصالح الدول، في حين يرى الواقعيون بأن هناك تضارب وتعارض بين مصالح الدول تدفع بهم إلى الحرب، ولهذا فإن هدف العلاقات الدولية وفق الاتجاه الواقعي هو تعظيم أو زيادة القوة وفق نظام توازن القوى. .

لقد شكك الواقعيون في علمية النتائج التي توصل إليها الاتجاه المثالي لأنها في نظرهم غير وضعية، ولقد حسمت هذه المحاوره لصالح الاتجاه الواقعي الذي هيمن على فهم وتحليل العلاقات الدولية لمدة زمنية طويلة، في حين تراجع الفكر أو الإتجاه المثالي الذي ساهم في تحويل دراسة العلاقات الدولية إلى تخصص أكاديمي يهتم بدراسة السياسة الدولية⁸.

ب. الحوار الثاني:

⁸ ميليا كوركي، وكولن وايت، العلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية، "في: تيم دان، ميليا كوركي، وستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، تر.ديما الخضرا، لبنان، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط.1، 2016، ص.76

لقد دار الحوار الثاني بين الاتجاه الواقعي والاتجاه السلوكي، وظهر هذا الحوار على اثر ظهور ما يسمى بالثورة السلوكية التي لا تقبل إلا بالمنهجية الإمبريقية والتجارب المضبوطة في حقل العلوم الاجتماعية، ومن أبرز رواد هذا الإتجاه في تخصص العلاقات الدولية " دافيد سينغر" DAVID SINGER ومورتون كابلان " Morton KAPLAN" في إطار ما يسمى بالنموذج العلمي الوضعي "Positivism". والنموذج الوضعي هو الذي يرى بأنه لا يمكن تحليل المعرفة العلمية إلا من خلال جمع بيانات عن الظاهرة المدروسة يمكن رصدها ومشاهدتها وقياسها، وهذا ما يمكن من صياغة قوانين عامة. وبناء على هذا، رأى السلوكيون بأن الكثير من المفاهيم التي يعتمد عليها الاتجاه الواقعي في تفسير الواقع الدولي تفتقد إلى التحديد الدقيق، وغير قابلة للقياس، فضلا عن حاجة تخصص العلاقات الدولية حسب السلوكيين إلى عملية اختبار الفرضيات اختبارا علميا والتحليل الإحصائي ومعالجة البيانات والنمذجة الرياضية وغيرها من وسائل البحث العلمي السلوكية، والتي وبالرغم من تأثر تخصص العلاقات الدولية بها على إثر ظهور ما يسمى بالنظريات الجزئية، إلا أن تأثر التخصص بهذه الثورة ظل بطيئا، ولم يقض نهائيا على صلاحية المنهج التقليدي "الواقعي"⁹.

ج. الحوار الثالث:

هناك من يجعله حوارا ثالثا، وهناك من يجعله حوارا رابعا، ظهر هذا الحوار في منتصف الثمانينات من القرن العشرين، ولا يزال تخصص العلاقات الدولية يدور في فلك هذا الحوار إلى يومنا هذا، ويوصف هذا الحوار بأنه حوار بين " التفسير والفهم" أو حوار بين " الوضعية وما بعد وضعية"، أو حوار بين العقلانية والتأملية".

محاضرات مقياس: نظرية العلاقات الدولية

د/بالة عمار

إن جوهر هذا الحوار يدور بين مؤيدي المنهج التفسيري ومؤيدي المنهج التأويلي "الفهم" في دراسة الظاهرة الدولية أو بين مؤيدي المقاربة العلمية والمقاربة التأويلية، حيث يهتم التفسيريون بمحاكاة العلوم الطبيعية في اتباع منهجيات علمية والبحث في المسببات العامة أثناء تحليل الظاهرة الدولية، في حين يركز مؤيدوا التيار التأويلي "الفهم" على تحليل المعنى "الداخلي" والأسباب والمعتقدات التي تحملها الجهات الفاعلة وتتصرف وفقا لها أثناء تحليل الظاهرة الدولية، أي أن المعتقدات والأفكار لها دور أثناء تحليل الظاهرة الدولية، في حين أن أنصار التيار التفسيري يرون أنه ليس بالإمكان إخضاع هذه المتغيرات للتجريب والقياس.

كما أن المنظرون التفسيريون يفضلون المنهجيات الكمية، في حين يتبنى مناصروا المنهج التأويلي منهجيات تأويلية، نوعية وتاريخية، وهم يركزون أيضا على تأويل سياقات الأحداث التي لا يمكن قياسها أو مشاهدتها. ويجب الإشارة إلى أن الإطار التفسيري أو المنهج التفسيري يشكل أساسه النموذج الوضعي الذي يقوم على فرضية أساسية وهي أن تحليل المعارف العلمية لا يكون إلا من خلال عملية التحقق من هذه الحقائق بطريقة تجريبية أي ما لا يكون موضعاً للاختبار (عبر المشاهدة والقياس) هو معرفة لا يمكن التحقق منها علمياً، ولهذا أطلق على هذا الحوار بالحوار بين الوضعيين التفسيريين والمابعد الوضعيين- التكوينييين.

يشير المابعد الوضعيين- التكوينييين إلى ذلك التيار العلمي الذي يرفض الوضعية بوصفها مقارنة تصلح لدراسة العمليات الاجتماعية، ويضم هذا الاتجاه النظرية النسوية، نظرية ما بعد الحداثة، النظرية النقدية، والنظرية البنائية، كما يشير الاتجاه العقلانية/التأملية إلى تلك النظريات التي تركز على الإتجاه الوضعي(العقلانية) في مواجهة التأمليين(المابعد- وضعية).

المحاضرة الثانية : النظرية المثالية/ الأخلاقية

هنالك من يعرف المثالية بأنها، توجه فلسفي مقابل للمادية وتعد فلسفة هيغل أكثر نماذجه شيوعاً وتأثيراً. ويعود استخدام المصطلح "مثالية" إلى كارل ماركس الذي أطلقه على النظريات التي تضخم من دور الأفكار في الحياة الاجتماعية؛ ويؤكد هذا التوجه على المثال الذي ينبغي أن يكون والذي يجب على الواقع أن يتغير ليتطابق معه وينطلق من أولوية الروح أو الوعي ويقول بتعالى القيم والمثل في الحياة العملية، وينظر إلى المادة على أنها شيء ثانوي مشتق وتكمن جذور التوجه المثالي في المبالغة في جوانب معينة من عملية المعرفة بالنظر إلى تناقضها. وعندها يتم وضع مفاهيم مجردة تعقل صفات الأشياء في صورة عامة بمعزل عن الأشياء ذاتها ويعود تاريخ استعمال كلمة "مثال" إلى القرن السابع عشر حيث كان الفلاسفة يستعملونها في مقابل كلمة "مادية" أما اليوم فيغلب على التداول ترادف مثالي وطوباوي/خيالي ومقابلته بواقعي¹⁰.

يرى العديد من المفكرين أن المثالية في العلاقات الدولية، نشأت بعد الحرب العالمية الثانية في غمرة تبسيط السياسة الدولية وجعلها في متناول مدارك الناس، ونتيجة لزيادة الشعور الشعبي بأن الحرب قد طالحت حياة الجميع، وأن مسبباتها الأساسية هي الاتفاقية الدولية السرية وسياسات بعض الدول والتحالفات التي كانت تعقد الواقع الدولي وتدفعه نحو الصراعات والفوضى، ويهتم التيار المثالي في الحقل الأكاديمي بتدريس القانون الدولي والمنظمات الدولية بغية القضاء على النزاعات وإقامة تنظيم أفضل للعالم وخدمة أهداف السلم ودعم وتطوير التفاهم الدولي¹¹.

تنظر المثالية للأمن من منظوري الأخلاق والدين، حيث يرى المثاليون أنه لا بد من تأهيل دور الأخلاق إلى المستوى الذي أصبح فيه راسخة بدرجة عالية في المؤسسات الدولية، وتصبح جزءاً من

¹⁰ توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، لبنان، طرابلس، دار أوبيا، الطبعة الأولى، 1998، ص 18.

¹¹ سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، الطبعة الأولى الأردن، عمان، داروائل للنشر، 2000، ص 23.

محاضرات مقياس: نظرية العلاقات الدولية

د/باله عمار

البيئة الاجتماعية لصناع القرار السياسي، إلى الحد الذي لا تصل فيه المصالح والأهداف المتعارضة مع هذه القواعد إلى مرحلة حادة تؤدي إلى الزيادة من درجة احتمال نشوب الحرب وإن هذا الاعتقاد يساعد على إقامة مجتمع مندمج يصبح أساس البناء

القيمي لأعضاء المجتمع الدولي¹²؛ فمن وجهة نظرهم هناك مبررات تجعل من القواعد

الأخلاقية تملك التأثير القوي في العلاقات الدولية أكثر من المصالح.

يركز المثاليون على أولوية الأخلاق في العلاقات بين الأفراد سواء على المستويين المحلي أو

الدولي، كما يرون أنه من واجب الفرد الخضوع للقوانين والقواعد التي وضعت لخدمة المجتمع

مستنديين على مسلمة أساسية تسمى "انسجام المصالح" (Harmony of Interests)، مفادها أن هناك

توافق طبيعي بين المصلحة العليا للفرد والمصلحة العليا للجماعة.

شكلت إذن المثالية مقرب أخلاقي- قانوني ركز على بناء عالم أفضل خال من النزاعات.

وانطلقت من مسلمات فلسفية تفاعلية حول الطبيعة البشرية¹³.

وفي إطار دراسة العلاقات الدولية لم تركز المثالية على مفهومي الدولة والنظام الدولي بقدر ما

اتجهت فرضياتها ومقترحاتها نحو مفاهيم الفرد والرأي العام والبشرية. فالقضية السياسية والأخلاقية

الأساسية التي اعتبرت المدرسة المثالية أنها تواجهها كانت قضية الفجوة القائمة في العلاقات الدولية

بين الواقع المتمثل بالحرب العالمية الأولى وبين الطموح في بناء عالم أفضل.

ازدادت الفجوة في الثلاثينيات بين النظرية المثالية من جهة والواقع السياسي الدولي من جهة

أخرى، والذي كان من أبرز مظاهره الغزو الياباني لمنشوريا عام 1931 واحتلال إيطاليا لأثيوبيا عام

¹² توم بوتومور، مرجع سابق، ص 19.

¹³ سعد حقي توفيق، مرجع سابق، ص 26.

1935 وبرزت النازية في ألمانيا. وازدادت التحديات الواقعية على النظرية المثالية وثبت عجزها وفشلها. وما كان ينقص النظرية المثالية هو فهم الأسباب التي تدفع بالدول لانتهاج سلوكيات نزاعية أو عدوانية.

المحاضرة الثالثة: الاتجاه الواقعي

يعتبر الاتجاه الواقعي من المنظورات التي خصصت حيزا هاما من دراساتها للعلاقات الدولية لوضع تصور متكامل لفهم الأمن، قائم بالأساس على بناء تصور فوضوي للعلاقات بين الدول يرتكز على غياب سلطة مركزية عليا تنظم السياسة الدولية¹⁴، ويرى جون هال (Jhon Hall) أن الواقعية أكثر المنظورات قوة وأناقة للسلم والحرب في عالم يتميز بالفوضوية¹⁵.

تزامن صعود النظرية الواقعية للأمن مع الارتقاء الأمريكي إلى سدة الزعامة العالمية، وهو ما أدى إلى إضفاء نوع من القوة التحليلية على التفسيرات الواقعية للشؤون الدولية، حيث تحظى مسلماتها بـ "انطباع مرجعي مقبول" لدى الدارسين في حقل العلاقات الدولية، على اعتبار أنها استطاعت أن تحدث نقلة نوعية في توجيه صانعي القرار إلى أولوية الصراع على المصالح، بدلا للصراع الإيديولوجي الذي كان سائدا إبان الحرب الباردة، كما رأت بأن التعايش ضمن تضارب قيمي أكثر إمكانية منه في حالة التعارض المصلحي، وربما يبدو هذا التفسير بسيطا إلا أنه لا يخلو بتاتا من صبغة "العقلانية".

¹⁴ Elke Krahnemann, "Security : Collective Good or Commodity?" European Journal Of International Relations, September 2008 vol. 14 no. P 381.

¹⁵ دلال غسان الخيري، النظريات السياسية، الأردن، عمان، دار الراجحة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص 154.

بالنسبة للواقعية للكلاسيكية، فإن منطلق تعامل الدول مع بعضها البعض، مصليحي بحت، وبما أن هذه المصالح غالبا ما تشهد تضاربا، فإن ذلك يؤدي إلى انطباع السياسة الدولية بحالة من الصراع والحرب، وفي إطار هذا الوضع تعتبر القوة (العسكرية بالأخص) معيارا مهما لحسم نتيجة الصراع الدولي والتأثير على سلوك الآخرين، وبالتالي تحقيق سلامة الدولة من التهديدات الخارجية (الأمن الوطني).

ويفصل الواقعيون بين عناصر القوة التي تتراوح بين "العسكرية" و"غير العسكرية"، إلا أن قولهم بـ"لا عسكرية" بعض عناصر القوة ينطلق أيضا من التصنيف المادي لها، إذ تشتمل إلى جانب البعد العسكري على متغيرات أخرى، كالنمو الديمغرافي، مستوى التطور التقني، المقدرات الطبيعية والعوامل الجغرافية، طبيعة نظام الحكم والقيادة السياسية والإيديولوجية¹⁶.

ينم تصنيف معايير القوة حسب الواقعيين، عن التزام يتم التسويق له "واقعيًا" لتحقيق فكرة "الأمن الوطني"، وهو التزام يأخذ أبعادا تاريخية/جدلية بين كتاب أمثال هوبز (Hobbes) وميكيافيللي (Machiavelli) وروسو (Rousseau)، حاولوا عبرها تحجيم المضمون الصلب لسيادة الدولة في ظل نظام دولي ينطبع بالتنافس والصراع لدرجة يصعب في إطاره تحقيق السلام الدائم (Peace Perpitual)، وكبديل لتخفيف حدة الصراعية وضمان وجود الدولة واستمراريتها في النسق الدولي، ما على هذه الأخيرة إلا تحقيق التوازن مع القوى الأخرى لمنع أي منها من تحقيق السيطرة الشاملة، وهو ما أكدته

¹⁶ جيمس دورتي وروبرت بالاستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، الكويت، كاظمة للنشر والتوزيع والترجمة والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجد)، ديسمبر 1985، ص 59.

كتاب المدرسة الواقعية الكلاسيكية أمثال ادوارد هاليث كار (E.H. Carr) وهانس مورغانثو (Hans Morgenthau)¹⁷.

تقدم الواقعية مفهوما للأمن مستمدا من تصوراتها للواقع الدولي بشكل عام، إلى درجة ذهاب البعض لاعتبار مسلماتها قاعدية في التحليل أمثال جون جاك روش (J.J.roche) و شارل فليب دافيد (Ch. Ph. David)، حيث تتقاطع أهم افتراضات الواقعيين مع نزوع الدارسين منذ اتفاقية " وستفاليا" (West Phalia) عام 1648 إلى اعتبار الدول أقوى العناصر الفاعلة في النظام الدولي، حيث كانت الدول هي المعيار العالمي للشرعية السياسية وذلك في غياب سلطة أعلى منها، وكان ذلك يعني النظر إلى "الأمن" على أنه الالتزام الأول لحكومات الدول¹⁸.

على هذا الأساس يمكن إجمال أهم المسلمات الواقعية في تحديد مفهوم الأمن في¹⁹:

- الدولة فاعل وحدوي ومركزي، قدراتها تسمح بمعرفة وتعريف أولوياتها، وبذلك تعتبر هي المصدر الوحيد للأمن (مرجعية الأمن).
- النظام الدولي يصطبغ بصبغة فوضوية في ظل غياب سلطة مركزية و مشتركة يمكنها تنظيم العلاقات التنافسية فيما بين الدول.
- الدول تعمل على تطوير قدراتها العسكرية للدفاع عن نفسها أو لزيادة نفوذها، وهذا ما يزيد من حدة المخاطر والتوترات بينها.
- الشك أو التوجس (Incertitude) في العلاقات الإستراتيجية بين الدول يعتبر "عنصرا ثابتا" (Constant Element) ، بمعنى أن هذه العلاقات مبنية على غياب الثقة، لأن كل دولة تبحث

¹⁷ المرجع نفسه، 415.

¹⁸ جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص 414.

¹⁹ Charls-Philippe David et Jean Jaques Roche, Théories de la Sécurité, France, Paris, Edition Montchrestien, 2002, P 90.

عن تحقيق ولو حد أدنى من القوة، وبالتالي فهي تسعى إلى التسلح كنتيجة لذلك لأنه في سياق مبدأ "كل لنفسه" (Self help) يعد الأمن معطى نادرا، وهو ما يبرر نزوع كل دولة إلى الدخول في صراع من أجل البقاء.

➤ استقرار أو عدم استقرار النظام الدولي يتوقف بشكل كبير على بنيته، بمعنى أن ذلك مشروط بتوزيع القدرات - خاصة العسكرية- لاسيما في ظل التوازن بين القوى الكبرى، وهو ما يعبر عن الرغبة في الحفاظ من عدمه على هذه البيئة التي تحدد سلوك الدول.

ينظر الواقعيون إلى الأمن باعتباره مشتقا من القوة، ويذهبون أبعد من ذلك عندما يختزلونه في المجال العسكري حصرا، وهي مقاربة سيطرت على تحليل المهتمين بحقل الدراسات الأمنية، خاصة خلال الحرب الباردة، ويقولون أنه كلما كانت الدولة قوية "عسكريا" كلما كانت أكثر أمنا على الأرجح، بغض النظر عن اعتراف الواقعيون أنفسهم بتعدد مستويات القوة، بما فيها الثروة والمزايا الجيوسياسية²⁰. بهذا المنطلق الواقعي في تحليل القوة، فإن التفكير في الأمن لا يتم إلا بالاعتماد على الدولة ذات السيادة كوحدة مرجعية له، وبالتالي للنظام الدولي ككل، باعتباره قائما على التفاعل بين وحدات مركزية/وحيدة هي "الدولة القومية" مشكلا في الوقت ذاته بنية هشّة للنسق الدولي تتسم بالـ "الفوضوية".

بناء على ذلك، يرادف مفهوم "فوضوية النظام الدولي" في التصور الواقعي، حالة الحرب، وذلك في ظل غياب حكومة مركزية يمكن لها أن تضمن الأمن الدولي، وهو مبرر حاسم لبروز إشكالية مع مطلع الخمسينيات، وهي واحدة من الإضافات الواقعية الجوهرية والأصيلة إلى حقل الدراسات الأمنية، كنتيجة للمسلمة الواقعية حول حالة الفوضى الهوبزية المرادفة لـ "حرب الكل ضد الكل" (All

²⁰ عبد النور بن عنتر، مرجع سابق، ص 15.

(Against All)²¹. حيث يرى هرز أن أي دولة لتكون في مأمن من مخاطر هجوم دول أخرى أو أنها تشعر بالتهديد، فهي تسعى للحصول على مزيد من القوة التي تجنبها هجوم عدو محتمل أو تأثير قوة/ نفوذ الآخرين. ولكن هذا – وفي حالة اللاتيقين التي تطبع العلاقات بين الدول- يجعل الطرف الآخر يشعر بمزيد من اللأمن وأقل طمأنينة مما يدفعه للتأهب للأسوأ، وهو ما يجعل الصراع من أجل القوة هو الحالة الطبيعية التي تطبع توجهات الدول فيما بينها، ومن هنا تأتي الحلقة المفرغة للأمن والقوة. بمعنى أن كل دولة تسعى لتحسين قدراتها العسكرية تحسبا لأي عدوان مسلح من دول أخرى، تثير بزوعها نحو التسليح – هي الأخرى- مخاوف الطرف هذه الدول التي ترى في ذلك النزوع، تهديدات ضدها لأنه يستحيل التأكد من النوايا والمقاصد الحقيقية لهذه الدولة التي قررت تحسين قدراتها؛ ومن هذا التفاعل الاستراتيجي تنشأ يسميها هرز بـ "المعضلة الأمنية"²².

بارتكاز الواقعيين في تحليلهم للأمن على متغير القوة (Power)، يطرح هذا المفهوم اشكالية الزاوية التي يجب النظر إليها للتعريف، سواء نظر إليها كوسيلة أو كغاية، بمعنى كدافع لسلوك الدول أو كنتاج له، أو الاثنين معا كما يرى مورغانتو، الذي يعتبر أن السياسة الدولية ككل هي صراع مستمر من أجل القوة، ومهما تكن الأهداف النهائية للسياسة الدولية فالقوة هي الهدف العاجل دوما²³. كما يؤكد على ضرورة النظر للقوة في السياسة الدولية من ثلاث زوايا²⁴:

➤ القوة كسبب (Power as a cause) أي أنها الدافع لسلوك معين.

²¹ Amélie Blom et Frédéric Charillon, Théories et Concepts des relations internationales, France, Paris, Hachette, 2001, p13.

²² Jhon H. Herz, "The Security Dilemma in International Relations: Background and Present Problems", International Relations, London, SAGE Publications, Vol 17, December 2003, pp 411-416.

²³ Paul Viotti et Mark V. Kauppi, International Relation Theory: Realism, Pluralism, Globalism and Beyond, USA, Boston, Allynand Bacon, 1997, P 56.

²⁴ عبد الناصر جندلي، انعكاسات تحولات النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة في الاتجاهات النظرية الكبرى في العلاقات الدولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2004 – 2005، المرجع نفسه، ص 116.

➤ القوة كهدف (Power as an outcome) أي أنها نتاج لسلوكات الدول.

➤ القوة كوسيلة (Power as an instrument) أي أنها الأداة لبلوغ الغايات المرجوة.

ويؤكد فريدريك شومان (Frederick G.Shuman) دراسة له صادرة عام 1933، أنه في ظل حالة الفوضى التي يشهدها النظام الدولي، والتي ترادف افتقاد النظام لحكومة عالمية، ما على الدولة إلى توظيف قوتها الذاتية لضمان أمنها، دون إهمال نظرة الشك والريبة تجاه قوة الدول المجاورة²⁵.

ويذهب ارنولد ولفارز أبعد من ذلك حين يرى بأن القوة هي "القدرة على دفع الآخرين نحو عمل ما تريد ومنعهم من عمل ما لا تريد"، وهنا يظهر الخلط الواضح بين القوة (Capacity or Strenth) والتأثير أو النفوذ (Influence)، حيث أن التمييز بينهما يكون انطلاقاً من أن القوة وإن كانت تعني تحريك الآخرين بالتهديد أو معاقبتهم بالحرمان، فإن النفوذ أو التأثير يعني القدرة على تحريك الآخرين بالوعد والإغراء، وفي النهاية فإن هذه المفاهيم هي مجرد مستويات للقوة، أي المراحل الأولى لتشكيلها في أي مجال من مجالات الحياة الدولية المتنوعة²⁶.

وتذهب العديد من الكتابات الأكاديمية الواقعية إلى ربط القوة بالدولة كفاعل وحدوي ومركزي، من خلال تضمينها بعداً مهماً باعتبارها "خاصية" تميز الدولة (Attribut of State)، بمعنى أنها معطى تمتلكه الدول أو تسعى عبره للحصول على الأمن، كما يقدمون قائمة لمكونات "القوة الوطنية" (National Power)، التي تؤهل الدولة لأن تكون قوة كبرى (Great Power) أو قوة متوسطة (Middle Power)، أو كقوة عظمى (Super Power). وتحدد هذه القائمة بشكل عام أنواع عدة "لميزات" قد

²⁵ جيمس دورتي وروبرت بالاستغراف، مرجع سابق، ص 61.

²⁶ عبد الناصر جندلي، ص 115.

تمتلكها الدولة لكي تكون مؤهلة للمطالبة بمرتبها الحقيقية على سلم القوة العالمية.²⁷ وبالتالي فإن القوة حسب الواقعيين تساعد الدولة على البقاء الذي يعتبر الهدف الأسمى ضمن مفهوم ضيق للأمن يرتكز حصرا على الدولة الوطنية باعتبارها . فاعلا مركزيا . إن لم يكن وحيدا في السياسة الدولية، والقوة العسكرية هي الأداة الرئيسية لتحقيق الأمن، وهنا تكون الدولة بصدد تحقيق الحد الأقصى للدولة (وهو البقاء والاستمرارية). غير أن حصر التصور الواقعي للأمن في بقاء الدولة أساسا والاعتداء المسلح المحتمل ضدها، باختزاله في قضية حماية/دفاع، جعل الأمن موضوعا للدراسات الدفاعية والإستراتيجية وبالتالي تم التعامل معه كموضوع "امبريقي" أكثر منه كمفهوم²⁸.

الامبريقية الواقعية في تحديد مفهوم الأمن . بإهمال بعده الانطولوجي . تظهر من خلال "الحكم الانتقادي" الذي وجهه ريمون آرون (Raymond Aron) للواقعية الكلاسيكية في كتابه "السلام والحرب بين الأمم" على أنها علم تطبيقي (Praxeology)، وذلك من خلال تركيز الواقعية الكلاسيكية على مبدأ "هدفي" يعنى بالتركيز على مراقبة العنف بين الدول عبر ضمان سلام هش مرتبط بالاستقطاب التنافسية للقوة²⁹.

إن الفوارق الجوهرية في التمييز بين مختلف الاتجاهات الواقعية في نظرتها للأمن تكمن في أن:

❖ الواقعية التقليدية: تركز على قدرة الدولة ونضالها من أجل البقاء في سياق فوضوي بحث ولا

مجال للفاعلين من "غير الدولة" ولا للتعاون أو إقامة قواعد القانون، بل إن اعتبارات القوة هي

²⁷ Paul Viotti et Mark V. Kauppi, Op.cit, p 88.

²⁸ عبد النور بن عنتر، مرجع سابق، ص 19.

²⁹ Jean Jacque Roche, Théories des Relations Internationales, France, Paris, Montchrestien, 5 Edition, 2004, P 32.

التي تؤخذ في الحسبان، ويشكل هانس مورغانو المرجعية المفضلة للواقعية البحتة والمحافظة.

❖ الواقعية البنيوية: تركز على بنية النظام الدولي، أي الطريقة التي تتوزع بها القدرات . خاصة العسكرية . بين القوى الكبرى، وتتميز هذه البنية بغياب الثقة أو اللأمن (Insecurity) المعمم بين الدول، وسلوك الدول في هذه الحالة يحكمه إما انتماؤها أو احتياجها، بمعنى أنها دولة مراجعة للوضع القائم، وأبرز روادها كينيث والتز (Kenneth N. Waltz).

❖ الواقعية الدفاعية: يرون بأن الاهتمام الرئيسي للأمن هو "ظاهرة الحرب"، وانطلاقاً من ذلك يمكن تعريف الدراسات الأمنية على أنها دراسة للتهديد، ولاستعمال ومراقبة القوة العسكرية. ويرى وولتز باعتباره أبرز روادها، بأنه لا مصلحة للصراع العسكري بهدف التوسع، نظراً لارتفاع التكاليف مقابل الفوائد المترتبة عنه³⁰. وعليه حسب الواقعيين الدفاعيين، فإن هدف تعظيم القوة (Maximization of Power) لا يعتبر أولوية بالنسبة للدولة، بقدر أهمية الحفاظ على مكانتها الدولية، وبذلك يقدم الدفاعيون وصفا معتدلة للبحث عن الأمن، بعيداً عن سعي الدول للتوسع على الصعيد الدولي.

❖ الواقعية الهجومية: من أبرز روادها جون ميرشايمر (Jhon Mearsheimer)، الذي يرى بلا محدودية البحث عن الأمن والقوة باعتباره الهدف الأعلى للدولة، لأن ثبات القوى يعد معطى نادر في السياسة العالمية، ولكي تبقى الدولة مهيمنة، لا بد من استغلال المحفزات التي يقدمها الصراع الدولي للبحث عن فرص تحصيل القوة وتعظيم المكاسب، والأخذ بالتموقع العقلاني

³⁰ - Ian Cameron Forsyth. **Getting a new blanket: China's conceptualization of "security" in the post-Deng Xiaoping era.** A Dissertation Presented to the faculty of the USC graduate school, USA, California, University of Southern California. August 2010, p. 22.

للدولة في سلم القوة دوليا، أين تفوق المنافع حجم التكاليف³¹. وهو جوهر المفهوم الواقعي للعقلانية (Rationalism).

❖ الواقعيون الجدد: يلاحظ نوع من القطيعة مع الكلاسيكية أو التقليدية، حيث يرون بأن التعاون بين الدول ممكن ومرغوب فيه للتقليل من مخاطر اللامأمن وضمان مكاسب نسبية وليست مطلقة لكل طرف، وقد يتضح السياق الفوضوي للنظام الدولي أنه أقل حدة لما يكون التنافس بين الدول تفسره آليات "الأمن التعاوني"، هذه الآليات تحد من الغش في العلاقات بين الدول ومن نقص الثقة والحسابات الخاطئة، وعرف بعض أقطاب هذه المدرسة بالواقعيون الجدد التعاونيون ومن أبرزهم شارلز غلايزر (Ch. Glaser).

❖ الاثنو واقعيين (الواقعية الاثنية): ظهر هذا الاتجاه مع بداية التسعينيات، ينقلون مفاهيم البقاء في سياق فوضوي، والتحميل الأقصى للمكاسب والتنافس إلى داخل الدولة، مستخدمين في ذلك مقارنة "المعضلة الأمنية داخل الدولة" (Intrastate Security Dilemma)، حيث صدرت مقالة لـ باري بوسن (Barry Posen) سنة 1993 بعنوان "المعضلة الأمنية والنزاع العرقي" (The Security Dilemma and Ethnic Conflict)، حاول فيها إسقاط مفهوم المعضلة الأمنية في سياقها المعتاد بين-الدول (Interstate) على نشوب النزاع الإثني في يوغوسلافيا السابقة 1991. تعتمد مقارنة بوسن (Barry Posen) على ما يسميه "الفوضى الناشئة" (Emerging Anarchy)، ويقصد بذلك ما يحدث عندما تبدأ الدول متعددة الإثنيات في الانهيار، فتجد المجموعات الوطنية نفسها مجبرة على تحصيل أمنها الخاص بها، كل على حدى، وذلك في غياب سلطة مركزية فعالة تتولى هذه المهمة، وبذلك تصبح هذه المجموعات في

³¹ Jonathan Kirshner, " The Tragedy of Offensive Realism: Classical Realism and the Rise of China ", European Journal of International Relations, UK, sagepub, 2010, p 60.

وضعية اعتماد على النفس شبيهة إلى حد كبير بتلك التي تميز الدول في النظام الدولي³². ومن أبرز روادها: باري بوسن وكوفمان (Kaufman).

المحاضرة الرابعة: الاتجاه الليبرالي

رغم القبول المرجعي الذي تحظى به المدرسة الواقعية باتجاهاتها المختلفة في تفسيرها للأمن، إلا أنه مع بداية السبعينيات بدأت الدراسات الأمنية الواقعية في التراجع، تاركة المجال أمام صعود الأدبيات السلمية التي تشير إلى عودة المثالية الكلاسيكية والتي لاقت رواجاً كبيراً في الأوساط الأكاديمية، حيث انتشرت الدراسات والمساهمات الفكرية التي تعبر عن هذا التوجه الجديد في أعمال ريتشارد فولك (R. Falk 1975)، شارلز بيتز (CH. Beitz 1979)، جوهانسون (Johansen 1983)، تومبسون (Thomson 1982)، وغالتونغ (Galtung 1984)، وكذا الكتاب المعياريين (Normatives) الذين تطرقوا إلى قضايا نزع السلاح وقوانين الحرب وحقوق الإنسان وصنع وحفظ السلم وإعادة تشكيل الأمم المتحدة وقضايا البيئة³³.

تعد المدرسة الليبرالية أكثر مدارس العلاقات الدولية نزوعاً لقيمة التعاون الدولي، حيث تنظر إليه على أنه الحالة الطبيعية في العلاقات الدولية، في حين أن النزاعات المسلحة والحروب هي الاستثناء³⁴، وقد كان لها تأثير بارز على الدراسات الأمنية، حيث أنه وعلى الرغم من غياب بناء نظري موحد ومتناسك للنظرية الليبرالية، إلا أنها مثلت نسقاً فكرياً متعدد التيارات عبر عنه ستيفن والت (Stefan Walt) بعائلة الليبراليات.

³² Jiaying Xu, «The Ethnic Security Dilemma and Ethnic Violence: An Alternative Empirical Model and its Explanatory Power», *Res Publica - Journal of Undergraduate Research*, Vol 17, Issue 1, 2012, pp 68- 69.

³³ Stanley Kober, "Idealpolitik", *Foreign Policy*, No. 79, Summer, 1990, pp 8- 16.

³⁴ جهاد عودة، النظام الدولي نظريات وإشكاليات، مصر، دار الهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005، ص 54.

تقدم الليبرالية مقارنة للأمن مستمدة من أهم افتراضاتها كـ "عائلة"، كما تحاول تقديم نفسها كبديل صاعد أمام تراجع التفسير الواقعي، حيث تضع جميع النظريات الليبرالية العلاقة بين الدولة والمجتمع في قلب السياسة العالمية، كما أنها تتشارك ثلاث افتراضات أساسية توصف بالأساس الصلب (Hard core) للعائلة الليبرالية وهي³⁵:

1/ الفاعلون الأساسيون في السياسة الدولية هم الأفراد العقلانيون والجماعات الخاصة

التي تتفاعل في شكل منظم لتعزيز مصالحها: وهو افتراض مركزي لدى الليبراليين يعرف بـ "الفاعلين دون الدولة" (Intra-state Actors)، حيث ينظرون للسياسة بشكل عام، من أسفل إلى أعلى، أين تأخذ مطالب الأفراد والجماعات المجتمعية (البيروقراطيات، جماعات المصالح...) أولوية في التحليل قبل سلوك الدولة. فالأفراد والجماعات هي التي تحدد طبيعة المصالح الإيديولوجية التي تعمل على تحقيقها عبر التفاعل السياسي والعمل الجماعي، وكنتاج لهذا التفاعل والصراع يولد النظام السياسي. كما أن التعارض الحاصل بين مختلف المطالب المجتمعية على مستوى "دون- الدولة" (محلي/ داخلي)، ينتج عنه نوع من الإكراه الممارس من طرف النظام السياسي (الدولة)، ويرجع بالأساس إلى ثلاثة عوامل اجتماعية هي: المطالب المتناقضة على أساس المعتقدات الراسخة، ندرة شديدة في المواد والسلع، وعدم المساواة في النفوذ الاجتماعي. وتحيل هذا العوامل الثلاثة إلى ثلاث تفرعات نظرية ضمن المدرسة الليبرالية هي: "الليبرالية الأيديولوجية"، الليبرالية التجارية" و"الليبرالية الجمهورية"³⁶.

2/ الدول (والمؤسسات السياسية الأخرى) ماهي إلا مجموعة فرعية من المجتمع المحلي،

يسعى المسؤولون العقلانيون إلى تحقيقها من خلال السياسة العالمية: وهو ما يشكل تحديا

³⁵ Andrew Moravcsik, "Liberal International Relations Theory: A Social Scientific Assessment ", Paper No. 01-02, USA, Weatherhead Center for International Affairs, Harvard University, april 2001, p 4.

³⁶ Ibid, p5.

للافتراض الواقعي القائم على اعتبار الدولة فاعلا عقلانيا (Rational Actor)، فبالنسبة لليبراليين تشكل المؤسسات التمثيلية حزاما رابطا" (Transmission Belt) يمكن من خلاله تجميع القوة الاجتماعية للأفراد والجماعات في المجتمع المدني، ودمجها في المجال السياسي، وبالتالي ترجمتها إلى سياسة الدولة. فالدولة في المفهوم الليبرالي ليست فاعلا، وإنما مؤسسة تخضع باستمرار للبناء وإعادة البناء من قبل مختلف فئات الفاعلين المجتمعيين، الذين يحظون بنفس التأثير على سياسة الدولة. لا على هيكلها³⁷. فالنظرة المجزأة للدولة تترك الانطباع بأن صدام المصالح والمساومة والرغبة في التسوية تؤدي دوماً إلى اتباع مسار صناعة قرار عقلاني، لأن سوء الإدراك (Mis-Perception) أو السياسة البيروقراطية قد يسيطران على صناعة القرار، وبالتالي احتمال اتخاذ قرارات لم تكن منتظرة أو مرغوبة.³⁸

3/ الأجندة السياسية العالمية تبقى قابلة للتوسيع، فإذا كانت مسائل الأمن الوطني مهمة،

فإن المسائل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية البارزة بفعل تنامي حدة الاعتماد المتبادل بين الدول والمجتمعات مهمة أيضاً³⁹.

تاريخياً؛ تأثر الفكر الليبرالي بكتابات العديد من الفلاسفة الليبراليين أمثال؛ ريتشارد كوبدن

(Richard Cobden)، جون ستيراورت ميل (John Stuart Mill)، جون ماينارد كينز (John Maynard

Keynes)، جيسبي مازيني (Giuseppe Mazzini) وجون هوبسون (John Hobson)⁴⁰. ويعتبر كل من

³⁷ Idem ; pp 5-6.

³⁸ عمار حجار، السياسة المتوسطة الجديدة للاتحاد الأوروبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، جوان 2002، ص 12.

³⁹ المرجع نفسه، ص 13.

⁴⁰ Andrew Moravcsik, Op.Cit, pp 2-3.

جون لوك (J.Lock) وإيمانويل كانط (E.Kant) و آدم سميث (A.Smith)* ، أبرز المساهمين في بلورة الفكر الليبرالي، حيث يرى لوك أن إنشاء دولة القانون الليبرالي يشكل بديلا قطعيا لحالة الطبيعة التي يقول بها الواقعيون، على اعتبار أن قانون الطبيعة أو القانون الأخلاقي (The Moral Law) وجد قبل السياسة كمعطى الهي، وقد استعملت ليبرالية لوك للدفاع عن حقوق الإنسان، والدعوة لإعادة التوزيع العالمي للثروة⁴¹. ويوجه كانط انتقادا تفكيكيا لحالة الطبيعة لدى الواقعيين باعتبارها البيئة المناسبة للصراعات و عدم الاستقرار واللا عدالة، وهو انتقاد يتقاطع مع رؤية الواقعيين للفوضى بأنها سبب الحروب، ولكنه يختلف معهم في إمكانية التغلب عليها عن طريق القوة العسكرية، ويقدم هو الآخر بديلا يحد من النزعة العدوانية للبشر - وبالتالي اللامن- يتمثل في التعاون والتبادل التجاري⁴²، وهو المنطلق الذي اعتمده الليبراليون لتشجيع المؤسسات والعلاقات السياسية والاقتصادية كآلية لتحقيق السلم والتعاون بين الأمم، بل أبعد من ذلك حين يرى بأنه من الممكن التخفيف من حدة العداء بين الدول عن طريق تطوير التجارة والديمقراطية والمؤسسات الدولية. في حين يمثل آدم سميث فيلسوف النموذج الرأسمالي كمصدر للتوافق بين المصالح الفردية والمصلحة العامة، حيث قدم آدم سميث نظرية راسخة حول الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية للتجارة الحرة والحمائية⁴³.

يقدم الليبراليون مفهوما للأمن قائما على إمكانية تحقيق نوع من التنظيم داخل المجتمع الدولي القائم على الفوضى، على أن يكون أساس هذا التنظيم هو التعاون كبديل للصدام بين الأمم،

* يمثل كل من جون لوك وكانط و آدم سميث الأقطاب الفكرية الثلاثة التي استمد منها الليبراليون خلفيتهم النظرية، انطلاقا من الكتابات التي وقعوها ولعل أبرزها: جون لوك 1632-1704: "أطروحتان حول الحكم الصادر عام 1688"، إيمانويل كانط 1724-1804 "السلام الدائم" عام 1795، آدم سميث 1763-1790 "ثروة الأمم".

⁴¹ Andrew Moravcsik, Op.Cit, P 26.

⁴² Juanita Elias and Peter Sutch, International Relations – The Basics –,U.S.A, New York, ROUTLEDGE, 2007, P 68.

⁴³ Andrew Moravcsik, Op. Cit, p 22.

وهو ما شكل دافعا كبيرا للمدرسة الليبرالية منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي، لإدخال مفهوم الاعتماد المتبادل (Interdependance) إلى أجندة العلاقات الدولية، كمفهوم يؤكد ضرورة الانتقال من براداييم ما بين الدول (Inter-state)، إلى نظام عابر للأوطان (Transnational system)، على اعتبار أن تمسك الدولة بالنظرة الضيقة/الصلبة للسيادة لم يعد مبررا في عالم تحكمه المصالح الاقتصادية المتشابكة بين الدول، هو ما يعبر عنه الليبراليون بـ "شبكة العنكبوت (CobWeb)"، والتي سيعبر عنها فيما بعد بـ العولمة، وهو النموذج الذي جاء ليعوض نموذج "كرات البليارد (Billiard ball Model)" الذي يقول به الواقعيون الجدد⁴⁴.

انطلاقا من ذلك، يمكن اعتبار أن أساس التصور الليبرالي للأمن موسع، قبل النظريات البنائية، ليشمل العوامل المؤسسية، الاقتصادية والديمقراطية، وهي أبعاد أكثر تأثيرا في إقامة السلام من المتغير العسكري⁴⁵، وهو توسيع قائم على أساس "فوق قومي" (Supera- National)، حيث أن التعامل/التبادل الاقتصادي بين الدول سيخلق شبكة "عنكبوتية" من المصالح المعقدة وبأقل تكلفة، وهنا لا يوجد مبرر للدخول في مواجهة عسكرية مع دولة أخرى أين تلتقي الليبرالية مع الواقعية عبر خيط رفيع هو "العقلانية". ويمكن التفصيل أكثر في إسهامات المدرسة الليبرالية حول مفهوم الأمن عبر اتجاهين أساسيين:

الفرع الأول: الليبرالية البنوية (Structural Liberalism):*

⁴⁴ Charles P. David et Jean Jacques Roche, Op ; Cit, P 97.

⁴⁵ Ibid, P 96.

* تأثر أصحاب هذا الاتجاه بكتابات ايمانويل كانط، والذي حاول أن يبين بأن السلام ممكن إذا توفرت بعض الشروط مثل: بداية التحول في الوعي الفردي وإقامة جمهورية دستورية ومعاهدة فيدرالية بين الدول لإنهاء الحرب وليس تنظيمها فقط، كما قال بذلك هوغو غروتوس (Hugo Grotius). وقد دعا كانط في المادة التعريفية الثالثة من كتابه "مشروع السلام" بإقامة نوع من التنظيم العالمي بين الدول المتعاهدة، وفعلا تجسدت فكرته في إقامة عصبة الأمم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

تعرف أيضا بأطروحة السلام الديمقراطي التي يرى أنصارها أن الدول الديمقراطية لا تسعى إلى محاربة بعضها البعض، حيث تشكل الديمقراطية مصرا رئيسيا للسلام، إذ يرى روبرت كوفمان (Robert Kaufman) أن سبب الحروب وعدم الاستقرار الأمني يعزى إلى غياب الديمقراطية⁴⁶، ويرتكز الافتراض الأساسي لهذه المقاربة في "أن الدول الديمقراطية نادرا ما تحارب بعضها البعض، رغم دخولها في حروب ما دول أخرى"⁴⁷.

يقف مفهوم الأمن وفقا لهذا الاتجاه ضمن متلازمة: كلما "تدمقرطت" (Democratisation) الدول كلما صار النظام الدولي سلميا، على أساس أن الديمقراطيات نادرا ما تتحارب فيما بينها، ومن هنا فانتشار القيم الديمقراطية يحد من النزوع نحو الصراعات ويحفز على التسوية السلمية لها بفضل سيادة ثقافة الليبرالية للتوافق أو الحل الوسط. وهو ما يؤكد كل من مايكل دويل (Michel Doyel) وبروس روست (Bruce Russett)، من خلال تأكيدهما على أن التحليل الأمني يجب أن يستند على المتغير الديمقراطي، لأن انتشار الديمقراطية على مستوى الدول، وأيضا على مستوى النظام الدولي، من شأنه أن يكرس السلام الدائم الذي يفتح المجال أمام مبادرات جديدة للسياسات الدولية وتكون الصفة التعاونية سمتها البارزة.

ويظهر تشبع دويل بكتابات كانط عبر إشارته إلى العناصر الثلاثة التي قدمها الأخير حول الأمن الدولي في كتابه "السلام الدائم" (Perpetual Peace) وهي: التمثيل الديمقراطي الجمهوري؛ الالتزام

⁴⁶ Robert G. Kaufman, In defense of bush doctrine, United State of America, University Press of Kentucky, 2007, p 32.

⁴⁷ كريس براون، فهم العلاقات الدولية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الامارات العربية المتحدة، دبي، مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص

الإيديولوجي بحقوق الإنسان والترابط العابر للحدود الوطنية. وهي العناصر التي تفسر اتجاهات الميل إلى السلام الذي تتميز به الدول الديمقراطية⁴⁸.

أما روست فيجادل بأن القيم الديمقراطية ليست التأثير الوحيد الذي يسمح للدولة بتجنب الحرب، لأن القوة والتأثيرات الإستراتيجية تؤثر في حسابات جميع الدول بما في ذلك الديمقراطيات، وهنا يرى أنه لا داعي لتجاهل النظرات المتبصرة للواقعية، على اعتبار أنها تخبرنا بأن القوة والاعتبارات الإستراتيجية تؤثر على قرارات الدول في محاربة بعضها البعض، وأن الأخطار تكمن في رؤية "الواقعية الفجة" لحرب الجميع ضد الجميع (All Against All) والتي لا يتأثر فيها التهديد الذي تمثله الدول الأخرى بمعايير ومؤسساتها الداخلية⁴⁹. وبالتالي فإن رواد هذا الاتجاه بشكل عام، يقولون بضرورة اعتناق الدول الديمقراطية ضوابط التوفيق التي تمنع استخدام القوة بين أطراف تؤمن بنفس المبادئ.

الفرع الثاني: الليبرالية المؤسسية (Institutional Liberalism):

تعرف أيضا بالليبرالية الجديدة (Neo- Liberalism)، وهو اتجاه ضمن "عائلة الليبراليات"، تم تطويره في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، من طرف منظري البراداييم التعددي أمثال روبرت كوهين وجوزيف ناي، في إطار النظرية المؤسسية الدولية، التي تؤكد على الدور المركزي للمؤسسات الدولية في إطار الرأسمالية وقيم الديمقراطية.

⁴⁸ جون بيليس وستيف سميث، مرجع سابق، ص 428 – 430.

⁴⁹ المرجع نفسه، ص 129.

ينزع الليبراليون المؤسساتيون إلى "مأسسة الأمن"، على اعتبار أنها عملية تزيد من مزايا التعاون بين الدول، وبالتالي تخفيض المخاطر والغش، وتقوم بتنشئة أو "جتمعة"* (Socialisation) الفاعلين الدوليين مع المعايير أو السلوك الذي تسعى إليه المؤسسات القائمة، وعليه فإن استقلالية الدولة قلت بسبب النفوذ المتنامي للمؤسسات، وأصبحت على إثرها العلاقات بين الدول أقل صراعية نظرا لوظائف التقارب التي تمارسها المؤسسات حيال سياسات الأمن⁵⁰.

وقد تعزز هذا الطرح خصوصا مع نجاح بعض المؤسسات الاندماجية، كالاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي في تطوير أنظمة أمن مستقرة، على اعتبار أن وجود هذه المؤسسات التعاونية أوجد جملة من القواعد والضوابط التي تجعل الدول المنضمة إليها لا تسلك سلوكات عسكرية، عكس ما كان متوقعا مع نهاية الحرب الباردة بزوال مثل هذه المؤسسات لزوال سبب وجودها. كما استطاع مقترح الليبرالية المؤسسية "أمينا" إقناع العديد من صناع القرار الأمريكيين بحججته لتبرير توسيع حلف شمال الأطلسي وعلى رأسهم الرئيس بيل كلينتون (Bill Clinton) بعد انهيار المعسكر الاشتراكي⁵¹.

إذن، تقدم الليبرالية المؤسسية مفهوما للأمن، قائما على دور المؤسسات في تعزيز الأمن، خارجيا كان أم داخلي، وهو دور قد لا يؤدي إلى منع الحروب بشكل كلي، إلا أن المؤسسات الدولية بإمكانها تخفيف مخاوف الغش وتلطيف المخاوف التي تنشأ أحيانا من المكاسب اللامتكافئة الناتجة عن التعاون الذي يروج له الليبراليون بشكل عام.

* يمكن التمثيل لمصطلح "جتمعة" بمنظمة التجارة العالمية WTO حيث تبنت مجموعة من القواعد التي ستقوم بجتمعة الدول للتوفيق بينها قبل العمل على تنفيذها.

⁵⁰ Juanita Elias and Peter Sutch, Op.cit, P 74.

⁵¹ Charles P. David et Jean Jacques Roch, Op.cit, P 97.

المحاضرة الخامسة: النظرية الماركسية

الاتجاه الماركسي في تحليل العلاقات الدولية بمرجعية فلسفية على قدر كبير من العمق. تتمثل هذه المرجعية في ما يعرف بالمادية الجدلية، وهي تعود إلى عالم الاجتماع والاقتصادي كارل ماركس (1818-1883)، وبدرجة أقل وضوحاً، رفيق دربه ومعاونه فريدريك إنجلز (1820-1895) الذي ساعده في تحرير "البيان الشيوعي" غير أنها (المادية الجدلية) في الواقع لم تكن ابتكاراً خاصاً به، بل تعود إلى تأثره بالتراث الفكري الهائل لأستاذه جورج فريدريك هيغل (1818-1831).

ويمثل الفيلسوف لودفيغ فيورباخ (1804-1872) همزة الوصل بينهما، لأنه أول من وضع تفسيراً مادياً للجدلية الهيجلية. حيث "تصور تاريخ العالم، ليس على أنه مظهر لتطور العقل أو الروح كما قال هيغل، بل على أنه مظهر لتطور المادة. وقد ارتبط ماركس بهذا الفيلسوف ارتباطاً قوياً، ولكنه وقع في نفس الوقت تحت تأثير المادية العلمية [وليدة عصره آنذاك]، وهو ما يفسر حماس ماركس للعلم، وعقيدته العميقة الساذجة في التقدم وتعاطفه مع مذهب التطور الذي قدمه دتروني".⁵²

وقد أخذ فلاديمير أوليانوف (المعروف باسم لينين) (1870-1924) بنظريات ماركس وإنجلز وصاغها في إطار نظام شامل انتهى إلى أن أصبح يعرف بالماركسية اللينينية. وقد مثلت هذه الأخيرة العقيدة الرسمية والثابتة للحزب الشيوعي السوفيتي (خلال النصف الثاني من القرن الماضي)، خاصة بعد حالة القدسية التي أضفها عليها جوزيف ستالين. وتجدر الإشارة إلى أن جميع النقاشات التي عرفتها الفلسفة الروسية خلال تلك المرحلة ظلت دائماً في حدود هذا الاتجاه ولم تخرج عنه، "كما

⁵² بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992، ص 92.

أنها لم تمس أيا من القضايا الرئيسية للنظام الفلسفي الذي أقره ستالين⁵³. لدرجة أن تاريخ الفلسفة لا يذكر أسماء أي من الذين ألفوا كتباً أو مقالات في الفلسفة الماركسية، لأنهم لم يكونوا يفعلون شيئاً إلا ترديد وتأكيده مقولات، ماركس ولينين.

وتنقسم المقاربات الماركسية إلى مقاربات تقليدية وأخرى حديثة (تندرج ضمن منظور ما بعد الحداثة)، إلا أننا سنركز في سياق المادة على المقاربات التقليدية/ الكلاسيكية القائمة على التفسير الوضعي/ المادي لمفهوم الأمن والتي تتراوح بين اتجاهات ثلاثة:

1. التنظير للعلاقات الدولية من منظور الحتمية التاريخية حسب كارل ماركس:

تقوم تحليلات كارل ماركس حول الرأسمالية على مجموعة من المقولات الفلسفية العامة، تتمحور أغلبها حول نظريته للتاريخ الاجتماعي، حيث يرى أن هذا التاريخ لا يتعدى كونه حركة مستمرة وفي اتجاه واحد لتحقيق مزيد من التقدم والانعقاد الإنساني، وأن أي تحول اجتماعي في التاريخ إنما يتم من خلال آليات الصراعات الطباقية داخل المجتمع. خلاصة هذا التصور هي مقولته الشهيرة في "البيان الشيوعي": "إن تاريخ المجتمعات حتى الآن ليس سوى تاريخ صراع الطبقات". كما بين ماركس أن طبيعة العلاقات الاجتماعية (العلاقات بين الطبقات) تؤثر بشكل مباشر على طبيعة قوى الإنتاج في المجتمع.

الأهمية العلمية للقوانين الماركسية في فهم الرأسمالية في قدرتها - إذا تم تعميمها - على الكشف على القوانين [التاريخية] الخاصة التي تتحكم في بروز وتطور وسقوط أي تشكيل اجتماعي والتنبؤ ببديله الذي [يفترض جدليا أن] يكون أرقى منه تنظيماً لقوى وعلاقات الإنتاج.

محاضرات مقياس: نظرية العلاقات الدولية

د/باله عمار

تاريخيا، لم يتسن لكارل ماركس أن يسقط منطق الجدلي على دراسة المجتمعات غير الأوروبية، والوصول – من ثم – إلى الكشف عن أبعاد التوسع الرأسمالي على المستوى العالمي. وبذلك فقد كان من اللازم انتظار إسهامات فلاديمير لينين الذي ارتبط تفكيره بماركس، حيث أصبحت الماركسية-اللينينية (leninist-marxism) تطلق على الاتجاه الفلسفي الذي تبناه الحزب الشيوعي الحاكم في الاتحاد السوفيتي لعقود متعاقبة.

2. نظرية الامبريالية:

تعتبر كتابات لينين النقدية حول الإمبريالية امتدادا للفلسفة الماركسية حول تطور النظام الرأسمالي، وفي نفس الوقت هي عبارة عن مداخلات نظرية للرد على التيارات التحريفية (revisionist) (في طليعتها إدوارد بيرنشتاين) التي كانت قد شككت في إدعاءات ماركس حول المسار التاريخي [الحتمي] للرأسمالية. وقد لاحظ لينين أن الرأسمالية تتجه نحو مرحلة تاريخية جديدة ولكنها لا تختلف في جوهرها عما وصفه ماركس، بل إنها تقوي وتدعم تصوره لسيرورة الرأسمالية نحو نهايتها. هذه المرحلة هي مرحلة الرأسمالية الاحتكارية/الإمبريالية، وهي بالنسبة له أعلى مراحل الرأسمالية.

لينين في كتيبه النافذ الذي صدر عام 1917 بعنوان (Imperialism: the Highest Stage of Capitalism) محافظا على خط تفكير كارل ماركس، الإسهام الذي أضافه يكمن في مسعاه لوضع الرأسمالية – من المنظور التحليلي – في سياق دولي أوسع نطاقا من السياق الذي تناوله ماركس، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فقد أفضى به تأثيره الشديد بإدراك ماركس للرأسمالية إلى ملاحظة أن التناقض في المصالح بين البروليتاريا والبورجوازية يبقى قائما بغض النظر عن الموقع الجغرافي للعامل أو الرأسمالي. وقد كان هذا التصور ترديدا لصدى العبارة الشهيرة التي أطلقها ماركس: "يا عمال العالم اتحدوا، فليس هناك ما تخسرونه سوى أصفادكم"، إذ يصبح التضارب في المصالح بين عمال الدول

على اختلافها أمرا غير وارد، هذا إذا تمكنوا من التحرر من قيود الأيديولوجيات البرجوازية المسيطرة محليا⁵⁴، هذا بالنسبة للبروليتاريا؛ أما بالنسبة للبورجوازية، فقد لاحظ لينين أن الرأسمالية الاحتكارية تمكنت من إحداث بنية ثنائية المستوى ضمن الاقتصاد العالمي الحديث، حيث يوجد مركز مهيم يستغل المجموعات الطرفية الموجودة على هامش البنية، هذه البنية مكنت البرجوازية في دول المركز من استعمال فوائض القيمة الناتجة عن استغلال الأطراف في تحسين ظروف البروليتاريا داخل دول المركز، وبذلك فقد أعاد لينين النظر في مقولة التناغم في مصالح العمال على صعيد عالمي⁵⁵.

مما سبق، يمكن الخلوص إلى أن لينين هو أول منظر بنوي ينتبه إلى أن الانقسام البنيوي بين مركز النظام الرأسمالي وأطرافه هو الذي يحدد طبيعة العلاقة بين البرجوازية والبروليتاريا. وهنا يمكن تسجيل ملاحظة على قدر من الأهمية في تحديد المنطلقات الأنطولوجية للماركسية الدولية، تتعلق بكون الدول لا تمثل الفاعلين الوحيدين في العلاقات الدولية، كما ذهبت إليه الواقعية والليبرالية على نحو أقل تشددا، بل هناك الطبقات الاجتماعية والمواقع التي تحتلها ضمن البنية الشاملة للنظام الرأسمالي العالمي، وهي (المواقع) التي من شأنها تحديد نماذج التفاعل بين الوحدات الدولية وأنماط الهيمنة والسيطرة السائدة فيما بينها.

يبقى أن نشير إلى الأهمية الكبيرة التي تمتعت بها نظرية الإمبريالية ضمن الحوار الذي احتدم في فترة ما بين الحربين العالميتين حول الأسباب التي تفرز ظاهرة الحرب، وإن كان هذا الحوار أشبه بـ "الحوار الصامت (silent debate)، نتيجة لكونه جمع بين المنظور الواقعي الكلاسيكي غربي/رأسمالي المتمركز (capitalist-centered) ومنظور الإمبريالية شرقي/ماركسي المتمركز (marxist-centered)، ولم تكن له انعكاسات واضحة على حقل التنظير لحقل النزاعات الدولية. ففي الوقت

⁵⁴ جون بيليس وستيف سميث، مرجع سابق، ص 268.

⁵⁵ المرجع نفسه، ص 269.

محاضرات مقياس: نظرية العلاقات الدولية

د/بالة عمار

الذي ركز فيه المنظور الواقعي على الطبيعة الشريرة للإنسان والبنية الفوضوية للنظام الدولي، فقد جادل منظور الإمبريالية بأن الحروب هي نتاج النزوع المستمر للرأسمالية نحو التوسع بحثا عن أسواق خارجية جديدة وعن فضاءات أوسع وأخصب لاستثمار فوائض القيمة الناتجة عن استغلال المركز للأطراف، هذه النزعة تؤدي بالمراكز الرأسمالية المتنافسة إلى الصدام ببعضها البعض، وعندما لا تتوفر الآليات المناسبة للإجماع حول تقاسم مناطق النفوذ، يتم الحسم عسكريا من خلال الحروب.

لقد حاول لينين - على غرار ما فعله ماركس - وضع نظرية شاملة تكشف أسباب بروز الرأسمالية الاحتكارية والقوى والقوانين الداخلية المتحكمة في تطورها، وقد خلص إلى أن التنافس الرأسمالي قد وصل إلى مرحلة نوعية جديدة بقيام الاحتكارات، وتحولت المنافسة إلى منافسة دولية تتسبب في حروب "إمبريالية" خالقة - بذلك - أوضاعا مناسبة للثورة البروليتارية وبالتالي القضاء على النظام الرأسمالي.

من المفارقات التي تبعث على الفضول أن طلائع نظرية الإمبريالية جاءت من الاقتصادي الليبرالي الإنجليزي (John A. Hobson)، وقد دفعت به مسيرته المهنية كمراسل صحفي لـ *The Manchester Guardian* إبان حرب الـ Boer في جنوب إفريقيا إلى مناهضة الرأسمالية، لأنه كان شاهدا على دور محتكري الماس في تغذية الحرب واستمراريتها. يرى (Hobson) أن المجتمعات الرأسمالية دائما تواجه معضلة "فيض الإنتاج وغيض الاستهلاك (dilemma of overproduction and underconsumption)، ولو أن الرأسماليين عملوا على إعادة توزيع الثروة الناتجة عن فائض القيمة (surplus) لتعزيز مستوى الرفاه المحلي لما كانت هناك مشكلة بنيوية في الأساس، غير أنهم في المقابل يعمدون إلى البحث عن إعادة استثمار رأس المال الفائض في الخارج، فتكون النتيجة هي الإمبريالية،

التي يمكن تعريفها بأنها "سعي [الرأسماليين] الصناعيين لتوسيع قنوات الثروة الناتجة عن فائض القيمة من خلال البحث عن أسواق ومناطق استثمار خارجية [جديدة]..".

3. مدرسة التبعية:

تمثل نظرية التبعية قطيعة مع الافتراض (الذي دافع عنه ماركس، لينين وصولاً إلى الشيوعيين المتشددين في أمريكا اللاتينية) القائل بأن الرأسمالية/الإمبريالية تؤدي إلى التصنيع الرأسمالي في الدول المتخلفة. فماركس كان يعتقد أن القوانين الداخلية تدفع بالرأسمالية إلى الانتشار المستمر على الصعيد العالمي، وفي إطار توسعها خارج أوروبا ستصطدم بالمجتمعات غير الأوروبية وتؤثر عليها إيجابياً، من خلال دورها التاريخي والثوري في القضاء على أنماط الإنتاج التقليدية المتخلفة. غير أن ما حدث تاريخياً هو أن الرأسمالية عند احتكاكها بالمجتمعات المتخلفة لم تقم كما توقع ماركس بتحطيم بنية الإنتاج التقليدية، وإنما عملت على ترسيخها وتحالفت مع قوى الإقطاع لخدمة أهداف الرأسمالية العالمية في امتصاص فوائض القيمة من المجتمعات المتخلفة إلى دول المركز. ويعتبر الاقتصادي الأمريكي (Paul Baran) [من الرواد الذين انتبهوا إلى كون] الرأسمالية الاحتكارية في أواسط القرن العشرين لم تعد تقوم بأي دور تقدمي، وبدلاً من ذلك فقد قامت بإعاقة التصنيع في بقية العالم غير الرأسمالي، وذلك في سبيل المحافظة على الأرباح الاحتكارية في المركز الرأسمالي⁵⁶.

تاريخياً، ترتبط الإسهامات النظرية للتبعية بمنظرين أعلمهم لهم علاقة مباشرة باللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ECLA، وهي لجنة أكاديمية عملت تحت إشراف مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD خلال فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. وقد عكفت على السعي لإبراز الأسباب الحقيقية لتخلف دول أمريكا اللاتينية رغم مضي عقود طويلة على حصولها على

⁵⁶ كريس براون ، فهم العلاقات الدولية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص

الاستقلال، وهو الوضع الذي خيب توقعات وآمال الأطروحات الليبرالية حول التحديث وحتمية حدوث الإقلاع take off التنموي في المجتمعات المتخلفة على غرار ما حدث تاريخياً في المجتمعات المتقدمة. لذلك فقد حاول أعضاء هذه اللجنة وضع إجابات مقنعة عن الأسئلة التالية: بماذا يمكن تفسير الركود الاقتصادي والخلل [المزمن] في موازين المدفوعات وتراجع مستويات التجارة في دول العالم الثالث؟ ولماذا فشلت عملية نقل النموذج التنموي لأمريكا الشمالية وغرب أوروبا إلى بقية دول العالم؟⁵⁷

وتجدر الإشارة إلى غياب نظرية موحدة وشاملة للتبعية، فكل ما هنالك هو مجموعة من الأطروحات والمقولات المدرجة ضمن تيارات نظرية غير متناسقة، ورغم اتفاقها في التسليم بواقع حالة التبعية فهي تختلف في إيجاد إطار نظري واحد لتشخيص هذا الواقع، وهو ما دفع بجيمس دايتز إلى حد القول بأن عدد الأطر التصورية و[التيارات] النظرية في مدرسة التبعية يزيد على عدد المنظرين والمساهمين في النقاش حول واقع التبعية، غير أن تيارات التبعية تتميز بكونها ذات نزعة تولىفية، مما يضفي انطباعاً بأنها مندمجة منهجياً لدرجة أنها تبدو نظرية واحد⁵⁸. ويبقى أننا نميز مجموعتين أساسيتين من التيارات المنظرية للتبعية، تيارات تقليدية، وتيارات جديدة.

ويأتي إسهام (Raul Prebisch) المدير التنفيذي للجنة (ECLA) في مقدمة التيارات التقليدية لنظرية التبعية. وقد عمل على تطوير فكرة لينين عن علاقات الاستغلال بين المركز والمحيط، وذلك بتركيزه على علاقات التبادل التجاري غير المتكافئ بينهما. فالجديد في إسهام (Prebisch) هو انتباهه لألية التجارة الحرة على المستوى العالمي كآلية لتعطيل التنمية الصناعية في المحيط، حيث يتم تخصيص دول المحيط في إنتاج المواد الأولية ثم مقايضتها بالمواد المصنعة في المركز (عبر آليات السوق العالمية

⁵⁷ Paul R.Viotti & Mark V. Kauppi, Op.Cit, P 348.

⁵⁸ عبد الخالق عبد الله، التبعية والتبعية السياسية، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ص 21.

الحرّة)، والمشكلة بالنسبة لـ (Prebisch) تكمن في كون معدلات التبادل التجاري تسيل بشكل معاكس للمنتجات الأولية مقارنة بالمواد المصنعة. ويتحدّى (Prebisch) الافتراض السائد للاقتصاد السياسي الليبرالي الذي مفاده أن جميع الاقتصاديات بإمكانها أن تستفيد نسبياً من إنتاج بعض المنتجات، وأنه من غير المهم تحديد نوع هذه المنتجات. فبإمكان جزر (Windward) أن تخصص في إنتاج الموز وتستورد البضائع المصنعة من الخارج، بالنسبة لـ (Prebisch) فإنه ينبغي لجزر (Windward) لكي تستمر في استيراد القيمة نفسها من المنتجات المصنعة أن تزيد بشكل مستمر من قيمة اللوز المصدر، وهو أمر صعب نتيجة للمنافسة الدولية ولمحدودية الطلب على الموز مقابل اتساع وزيادة الطلب على المواد المصنعة⁵⁹. يمثل هذا التيار جانب (Prebisch) كل من (Paul Baran) و (Souizy Paul)، وهم يركزون في تحليلهم لعلاقات التبعية على إبراز الخسائر المطلقة (لا النسبية كما يدعي الاقتصاد السياسي الكلاسيكي) التي تنطوي عليها العلاقات التجارية بين دول المركز ودول المحيط.

وقد اقترح (Prebisch) سياسة تصنيع إحلال الواردات التي تهدف إلى حماية وتطوير الصناعات المحلية لكي تسمح للمنتجين المحليين بتأمين الطلبات المحلية مع استيراد مواد التصنيع والتكنولوجيا وأقل كمية ممكنة من المنتجات المصنعة⁶⁰. على أن فشل هذه السياسات في إنجاز الإقلاع التنموي في الدول المتخلفة أدى إلى بروز تيارات جديدة داخل نظرية التبعية تضم جيلاً من الماركسيين الجدد، أو ما يعرف بالبنويين الجدد (neostructuralists).

المحاضرة السادسة: المقاربة البنائية

⁵⁹ كريس براون ، مرجع سابق، ص 217

⁶⁰ المرجع نفسه، ص 218

تزامن ظهور المقاربة البنائية مع نهاية الحرب الباردة، والركود التنظيري الذي شهده حقل العلاقات الدولية، ما منحها قوة تبريرية شكلت دافعا لوسم النظريات السابقة- وعلى رأسها الواقعية والليبرالية- بالفشل، لإهمالها الجوانب المعيارية في التحليل، وتركيزها على الجوانب المادية، حيث يعزو البنائيون عجز الواقعية إلى سيطرة المنهج المادي والفردية والقوة، وعجز الليبرالية إلى نفس الجوانب ولكن بالتركيز على المصلحة الاقتصادية، أما المقرب البنائي حسيم، هو البديل الأمل لمراجعة التفسير المادي لمختلف ظواهر العلاقات الدولية، وعلى رأسها مفهوم الأمن، ليس كمعطى مسبق، وإنما مبنى اجتماعيا.

ولكن ذلك لا يعني بأن المقاربة البنائية تتشارك بعض الافتراضات مع النظريات الوضعية

خاصة الواقعية منها⁶¹:

- الفوضى هي السمة الأساسية للنسق الدولي عموما.
- الدول هي الفواعل الأساسية للتحليل.
- البقاء هو الهدف الأسمى للدول.
- سلوك الدول هو سلوك عقلاني.
- محددات سلوك الدول هي الغش وانعدام الثقة.

تعود جذور البنائية إلى كتاب نيكولاس أونوف (Nicholas Onuf) "عالم من صنعنا"

(World of our making) الذي استعمل فيه لأول مرة مصطلح البنائية (Constructivism)،

منتقدا فيه أفكار وفرضيات واقعية والتز الجديدة، أما الانطلاقة الفعلية فكانت بفضل الكسندر

⁶¹ Price Richard and Reus Smith, "Critical international theory and constructivism" European Journal of International Relations, uk, London, Sage publications, Volume4, Number3, September, P264.

وانت (AlexenderWendt) "الملقب بأبي البنائية" عام 1992 في إطار النظرية النقدية الاجتماعية، كرد فعل على كل من الواقعية والليبرالية، ومنطلق وانت في ذلك أنه لا يطرح نظرية (Theory) وإنما مقارنة (Approache) تقوم على أربعة افتراضات أساسية⁶²:

1. رغم إقرار البنائيين بـ "أساسية" الدول كوحدات للتحليل، إلا أن نظرتهم لهذه الأخيرة نابعة من تركيزهم على العوامل المعرفية والذاتية التي تنتج عن تفاعل الدول في علاقاتها البنائية، وكذا بدور الفواعل "غير الدولة"، في موقف مغاير للنظريات الوضعية.
2. بنية النظام الدولي "اجتماعية" إرادية، تتضمن مجموعة من القيم والقواعد والقوانين، كما أنها تؤثر في هوية ومصحة الفاعلين.
3. النظرة للنظام الدولي على أنه "فوضوي" غير نهائية، وإنما هي عملية بناء دائمة ومستمرة، ناتجة عن التفاعل الحاصل بين الفاعلين (دولة + فواعل أخرى) والبناء ذاته، وهو ما يلغي فكرة الأخذ بالواقع الدولي كما هو (معطى مسبق)، وسينحج ذلك على رؤية البنائيين للعديد من المفاهيم من منظور البناء الاجتماعي؛ مثل المصلحة الوطنية، الهوية والأمن الوطني، بعيدا عن تفسيرات المقاربات الوضعية.
4. تنفرد البنائية مقارنة بالواقعية والليبرالية بأنها تجمع بين معرفية/وضعية، حيث أن الواقع الاجتماعي حسب البنائيين، موجود ويمكن للباحث دراسته (ابستومولوجيا) وانطولوجيا ما بعد وضعيا، بمعنى أن هذا الواقع لا هو موضوعي - معطى مسبقا- ولا هو ذاتي تابع لخطابات الشرعنة، ولكن تتداخل فيه "التذاتيات" وهي ما تصنعه المعتقدات المشتركة للفاعلين وهو التركيب الذي تسميه البنائية بـ "التذاتانية" (Intersubjectivity)؛ وبذلك فهم يرفضون الافتراضات الوضعية بوجود قوانين وشبه قوانين تحكم الظاهرة الاجتماعية والسياسية بعيدا

⁶² Paul R. Viotti, International Relations Theory, UK, London, Pearson, 5 th Ed, 2012, p 278.

عن إرادة الفاعل وقدرته في التأثير علكما يرفضون التفسير الموضوعي للوضعين (فصل الذات عن الموضوع).

للتوضيح أكثر، يمكن أن نقارن الافتراضات الأساسية للبنائية بمختلف الافتراضات في المنظورات المشكلة للاتجاه التفسيري، "فالبراداييم البنائي" مثلا يختلف عن "البراداييم الواقعي" من حيث عدم تحديده للواقع بناء على توزيع القوى المادية، وإنما على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الاجتماعية، وفي نفس الوقت فإن البنائية تتقاسم مع الواقعية بعض التصورات مثل: الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي، الاعتراف بالقدرات الدفاعية للدول، انعدام الثقة في نوايا الآخرين وعقلانية الفاعلين⁶³.

غالبا ما ينظر إلى البنائية على أنها جسر رابط (Bridge Gap) بين الاتجاهات الوضعية/التفسيرية، والنظريات ما بعد الوضعية/ التكوينية على اعتبار أنها محاولة توفيقية أكثر منها نظرة نقدية أو تحد لمنطلقات الاتجاهات الواقعية والليبرالية⁶⁴.

تقدم البنائية رؤية للعديد من المفاهيم في العلاقات الدولية ذات الصلة الوثيقة ببناء مفهوم الأمن الوطني مثل: القوة، الفوضى، المصلحة الوطنية والهوية؛ فبالنسبة لـ "القوة" (Power) لا يعرفها البنائيون كما الواقعيون (انطلاقا من عدة معايير مادية)، وإنما على أساس أنها بناء اجتماعي يتحدد أثره ومعناه من خلال التفاعل الحاصل بين الوحدات الفاعلة والبناء الذي يحتوي هذا التفاعل، وعلى هذا الأساس يرون بأن مفهوما مثل "توازن القوى" (Balance of Power) لا يصبح قانونا كما يعتقد

⁶³ عمار حجار، مرجع سابق، ص 41.

⁶⁴ عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر، دار الخلدونية، الطبعة الأولى، 2007، ص 322.

الواقعيون، بل هو قاعدة تقبلها الدول نتيجة لاستخدامه المتكرر على مر الزمن من قبل الدول والوحدات الأخرى، فيصبح بمثابة عرف يبدو كالقانون الملزم في العلاقات الدولية.

أما الفوضى (Anarchy)، فتعد من الإسهامات الأساسية للبنائية، حيث يرى الكسندر وانت في مقاله الصادر عام 1992 والموسوم بـ: "الفوضى هي ما تصنعه الدول: البناء الاجتماعي لسياسة، القوة" (Anarchy is what states make of it: The social construction power politics) بأن الفوضى في السياسة الدولية تبقى مجرد فكرة، لكنها تكتسي القوة والتأثير عندما تعمل الدول على الاعتقاد بوجودها.⁶⁵

ويرى وانت أن "المصلحة الوطنية" (National Interest)، ليست محددة بشكل موضوعي "بنائياً"، إنما قابل للتشكل والتكوين مع مرور الزمن، وعبر العلاقات الاجتماعية للفاعل، ويربطها البنائيون بـ "الهوية" إذ يرون بأن الأخيرة تولد وتصلق المصالح، كما تعتبر هذه المقاربة أن العوامل الثقافية تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على الهوية، وأن المصالح القومية تنبع من بناء خالص لهوية الذات مقابل هوية الآخر، وهو ما يفسر بروز قضايا الأقليات بعدما تحول الصراع من صراع بين الدول أثناء الحرب الباردة إلى صراع داخل الدول بعد نهايتها، وكذا قضايا الإرهاب والتنظيمات الإرهابية بعد تحول الصراع من إيديولوجي إلى حضاري، فضلاً عن تحريك النعرات الطائفية والانتماءات العرقية والثقافية للأفراد، صناع قرار هذه الوحدات السياسية، وهي كلها مؤشرات تدل على وجود عدة فاعلين وليس فاعل واحد في النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة.⁶⁶

⁶⁵ Juanita Elias and Peter Sutch, Op.Cit, P 186

⁶⁶ عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص 223.

انطلاقاً من ذلك، يعتبر مفهوم الهوية (Identity) - الذي أهملته جميع النظريات الوضعية/التفسيرية- "مركزياً" بالنسبة للمقرب البنائي، إذ يفترض أن الهوية تمنح أو تحدد للفاعل دوراً في العلاقات الدولية، يتصرف الفاعل وفقه، إذ على سبيل المثال أظهرت مجموعة من الدراسات أن الاعتقاد السائد بين الألمان بعد الحرب العالمية الثانية بـ "أوروبية" ألمانيا وأهمية التكامل الأوروبي هو ما دفعها إلى الانضمام ولعب دور فاعل في الاتحاد، وبالتالي تغيير سلوكها نحو أوروبا ككل. ويفسر اهتمام البنائية بمتغير الهوية على أنه نوع من التفكيك لـ "نموذج كرة البليار" الواقعي، حيث يرفض البنائيون هذا التصور لأنه- حسبهم- فشل في إبراز أفكار ومعتقدات الفاعلين الذين أقحموا أنفسهم في النزاعات الدولية، والمهم بالنسبة لهم هو فهم التفاعلات الاجتماعية الداخلية للدول (الكرات) لاستيعاب المخرجات السياسية لها حتى لا يتم حصرها في مخرجات البيئة الدولية الفوضوية للنظام الدولي⁶⁷.

ويقول وانت أنه بما أن الهويات متعددة المصادر وليست ذاتية، وبما أنها أساس المصلحة الوطنية، فإنه ورغم إشارة هذه الأخيرة إلى مستلزمات الأمن وإعادة الإنتاج، فإنه لا يمكن أن تحدد من خلال مقارنة أجنبية- في إشارة إلى الواقعية والليبرالية - حيث أن الفوضى الدولية التي تعيش وتتحرك فيها الدول والتي تصقل هوياتها وبالتالي مصالحها ليست إلا ما تصنعه الدول بها، وليست حتماً مرادفاً لحالة الحرب كما يقول الواقعيون.

وعليه، يفرق وانت بين ثلاثة أنواع/ تصورات للفوضى ترتبط بمسألة توظيف الأمن، حيث يرى بأن الدول توظف الفوضوية لخدمة مصالحها، فعندما تنظر الدول إلى بعضها البعض نظرة عداوة فإن البنية الدولية تكون مشكلة لفوضى هوبزية، تتسم هذه الرؤية بأنها تنسجم و تتطابق مع الرؤية الواقعية الجديدة لبنية النظام الدولي التي ترى أن غياب السلطة المركزية في النظام الدولي يجعل

الدول تعيش في حالة عدم وضوح وخوف من تزايد قوة أي دولة أخرى؛ ولذلك تسعى كل دولة إلى زيادة قوتها الذاتية التي تقود إلى نظام "الاعتماد على الذات"، وهو ما يقود إلى نوع من سباق التسلح وسلسلة من الإجراءات المتتالية من السياسات التي تقود إلى صراع الكل ضد الكل. ولما تنظر إلى بعضها البعض نظرة تنافس تكون مشكلة الفوضى لوكية بحيث تنظر الدول إلى بعضها البعض من منطلق المنافسة دون أن تنفي حق الوجود، من خلال مجموعة من القواعد المتفق عليها. أما إذا نظرت إلى بعضها كأصدقاء نكون بصدد فوضى كانطية، وفي ظل هذا النوع من الفوضى تتعاون الدول فيما بينها في إطار من التعاون، من أجل تحقيق المصلحة المشتركة⁶⁸. ويرى وابت أن الثقافة الهوبزية المحددة للمصلحة القومية بشكل حصري وإقصائي وفق علامات القوة لم تعد موجودة في عالم ما بعد الحرب الباردة، باستثناء بعض الحالات الشاذة والظرفية، وعليه فالعالم تطور نحو الثقافة اللوكية بل وحتى الكانطية كما هو الحال في بعض أنحاء العالم مثل: الجماعة الاورو-اطلسية، أين تحدد الثقافة الكانطية سلوك دول الجماعة، حيث أنه لما تتحرك دولة من هذه المجموعة فإنها لا تشبع مصالحها الوطنية فقط، بل وحتى مصالح الدول الصديقة والحليفة⁶⁹. حيث تجسد بريطانيا أبرز نموذج لذلك التي تتحرك من منطلق الهوية الأطلسية حتى في علاقاتها مع الاتحاد الأوروبي، وهو ما نتج عنه خروج بريطانيا من الاتحاد في إطار ما يعرف بـ "Brexit"، بموجب الاستفتاء الذي تم إجراؤه في 23 جوان 2016.

تتمحور نظرة البنائين لمصادر الأمن حول إثارة التساؤل التالي: أيهما يسبق الآخر الواقع أم الأفكار؟ وفي محاولة للإجابة يرون بأن العلاقات الدولية لا تقوم على تأثير علاقات القوة، ولكن على

⁶⁸ Amélie Blom et Frédéric Charillon, Op.cit, p13.

⁶⁹ Ibid, pp 13-14.

التصورات والمفاهيم التي تعطي للقوة "معنى"⁷⁰، وهو ما يمثل رفضا بنائيا لمتغير القوة في تفسير وتحليل الواقع الدولي. وبالنسبة لـ "وانت فإن الأمن هو ما تريد الدول العمل به"⁷¹.

أما بالنسبة لباحثين بنائين آخرين على غرار جون روجيه (John Rogie)، فريدريش كراتوشويل (Fredirich Kratochwill) وإيمانويل ادلر (Emanuel Adler)، وفي محاولة لوضع مجموعة من القوانين (Corpus) النظرية تتعلق بمفهوم الأمن يركزون على المسلمات الثلاثة التالية⁷²:

❖ أسس النظام الدولي مبنية اجتماعيا، وأن الفوضى أو البحث عن القوة هي عبارة عن "بنى" وليست حقائق موضوعية، ولا تكون ذات "قيمة" إلا إذا آمنت الدول بها، وعلى هذا الأساس سيصبح الأمن "تنبئيا" بصورة تلقائية، لأن الفوضى ليست معطى موضوعي وإنما فكرة ذاتية عملت الدول منذ نظام وستفاليا على دمجها ضمن سلوكها.

❖ الشروط المادية ليست المحددات الوحيدة للأمن، وإنما الأفكار والمعايير تلعب دورا هاما في تشكيل وتغيير هوية النظام الدولي مع مرور الزمن وبصورة مختلفة.

❖ يمكن للأمن أن يتحول ويتحسن (Improvement) بشرط أن تتغير طريقة التفكير وبصورة حيادية، فإن المقرب البنائي يبعث على التفاؤل، لأنه بدل الاعتقاد بديمومة التنافس والتنازع بين القوى الكبرى- كما يعتقد أغلب الواقعيين- يمكن لهذا التنافس أن يزول بتبني أفكار سلمية، كما حدث للاتحاد السوفياتي عندما لعبت أفكار غورباتشوف دورا هاما في إنهاء الحرب الباردة وبصورة سلمية دون اللجوء إلى خيار القوة السوفياتية كبديل عسكري.

⁷⁰ Charles P.David et Jean Jaques Roche, Op.Cit, P 104.

⁷¹ Ibid, P 103

⁷² Idem, pp 103

لقد أعطت البنائية حيزا بحثيا/تساؤليا للعديد من الباحثين حول مفاهيم عديدة، فبغض النظر عن إسهامات كل من وانت وأنوف باعتبارهما أعمدة المقرب البنائي، فإن ايمانويل ايدر يحاول البحث عن كيفية بناء جماعة أمنية، أما بيتر كاتزنشتاين (Peter Katzenstein)، فيسعى إلى دراسة الكيفية التي يؤثرها التاريخ على بناء السياسات الأمنية للدول، وبصورة خاصة عن الطريقة التي يؤثر بها التاريخ على بناء الهوية⁷³. وهي محاولات تؤكد الأهمية التي يحضى بها مفهوم الأمن لدى هذا المقرب الذي حاول إعطاه دفعة جديدة بعيدا عن التصورات الحتمية والاقصائية للمنظورات التفسيرية دون أن يلغها.

⁷³ Ibid, p104.

محاضرات مقياس: نظرية العلاقات الدولية

د/بالة عمار
